المكتبة الخضراء للأطفال

٥

البجعات المتوحشات



بقلم: عبد الله الكبير

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

٥



البجعات المتوحشات

بقلم: عبد الله الكبير

الطبعة الثامنة عشرة



كَانَ لِبَعْضِ ٱلْمُلُوكِ ، أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا ، وَبِنْتٌ وَاحِدَةٌ . وَكَانُوا يَعِيشُونَ فِي قَصْرٍ فَخْمٍ جَمِيلٍ ، عِيشَةً كُلُّهَا سَعَادَةٌ وَهَنَاءَةٌ ؛ فَقَدْ كَانَ ٱلْمَلِكُ عَادِلًا رَحِيمًا ، يُحِبُّ شَعْبَهُ ، وَيَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي سَبِيلِ تَقَدُّمِهِ ، فَأَحَبَّتْهُ رَعِيَّتُهُ ، وَأَخْلَصَتْ فِي حُبِّهِ .

وَكَانَتِ ٱلْمَلِكَةُ وَفِيَّةً مُخْلِصَةً ، تُسَاعِدُ زَوْجَهَا فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ ٱلْوَاسِعَةِ ، وَتُشْرِفُ بِنَفْسِهَا عَلَى شُئُونِ ٱلْقَصْرِ ، وَتَهْتَمُّ كُلَّ ٱلِاهْتِمَامِ

بِتَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا ، وَتُحَبِّبُ إِلَيْهِمُ ٱلْفَضَائِلَ ، وَٱلْأَخْلَاقَ ٱلْعَالِيَةَ .

وَكَانَ ٱلْأُمَرَاءُ أَذْكِيَاءَ مُهَذَّبِينَ ، يَذْهَبُونَ إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ ، وَٱلتِّيجَانُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَٱلْأَوْسِمَةُ تُزَيِّنُ صُدُورَهُمْ ، وَٱلسُّيُوفُ تَتَدَلَّى بِجَانِبِهِمْ ؛ وَكَانُوا يَكْتُبُونَ بِأَقْلَامٍ مِنَ ٱلْأَلْمَاسِ ، عَلَى أَلْوَاحٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ !

أَمَّا ٱلْأَمِيرَةُ – وَهِيَ أَصْغَرُ إِخْوَتِهَا – فَكَانَتْ بَارِعَةَ ٱلْجَمَالِ ، خَفِيفَةَ ٱلرُّوحِ ، رَقِيقَةَ ٱلطِّبَاعِ ، يُحِبُّهَا كُلُّ مَنْ يَرَاهَا . وَكَانَتْ تَجْلِسُ – عَصْرَ كُلِّ يَوْمٍ – فِي حَدِيقَةِ ٱلْقَصْرِ ، عَلَى كُرْسِيٍّ مِنَ ٱلْبَلُّورِ ، تَنْتَظِرُ عَوْدَةَ إِخْوَتِهَا مِنَ ٱلْمَدْرَسَةِ ، وَتَتَسَلَّى بِٱلنَّظَرِ فِي كِتَابٍ عَجِيبٍ : أَوْرَاقُهُ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْخَالِصِ ، وَحُرُوفُهُ مِنَ ٱلْجَوَاهِرِ ٱلثَّمِينَةِ ، وَصُوَرُ ٱلْعَصَافِيرِ فِيهِ تُغَرِّدُ ، وَصُوَرُ ٱلْحَيَوَانِ فِيهِ تَتَحَرَّكُ ، وَصُوَرُ ٱلنَّاسِ فِيهِ تَمْشِي وَتَتَكَلَّمُ !

لَقَدْ كَانَ أَفْرَادُ هٰذِهِ ٱلْأُسْرَةِ ٱلْمَلَكِيَّةِ ، صِغَارًا وَكِبَارًا ، سُعَدَاءَ حَقًّا . وَلٰكِنَّ ٱلسَّعَادَةَ لَا تَدُومُ . فَقَدْ مَاتَتِ ٱلْمَلِكَةُ ٱلطَّيِّبَةُ ،



فَعَرَفُوا جَمِيعًا مَرَارَةَ ٱلْحُزْنِ ، وَقَسْوَةَ ٱلْأَلَمِ ، وَفَارَقَتْهُمُ ٱلسَّعَادَةُ ، ٱلَّتِي كَانُوا يَنْعَمُونَ بِهَا ...

وَأَخِيرًا فَكَّرَ ٱلْمَلِكُ فِي ٱلزَّوَاجِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، لَعَلَّ زَوْجَتَهُ ٱلْجَدِيدَةَ أَنْ تُعِينَهُ ، وَتَكُونَ أُمًّا لِأَوْلَادِهِ : تَعْطِفُ عَلَيْهِمْ ، وَتَهْتَمُّ بِشُئُونِهِمْ . وَلٰكِنَّ ٱلْحَظَّ ٱلسَّيِّئَ ، أَوْقَعَهُ فِي زَوْجَةٍ مَاكِرَةٍ ، ٱسْتَطَاعَتْ بِسِحْرِهَا وَخِدَاعِهَا ، أَنْ تَجْعَلَهُ يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، وَيَخْضَعُ لَهَا ، وَيُطِيعُهَا ، وَيُنَفِّذُ لَهَا رَغَبَاتِهَا كُلَّهَا .

وَكَانَتْ – كُلَّمَا جَلَسَتْ إِلَى زَوْجِهَا – تَقُصُّ عَلَيْهِ حِكَايَاتٍ مَكْذُوبَةً ، عَنْ أَوْلَادِهِ ، وَتُحَدِّثُهُ عَنْهُمْ أَحَادِيثَ سَيِّئَةً ، لَا أَصْلَ لَهَا ، حَتَّى غَضِبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِهِمْ ، وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُمْ .

وَقَدْ قَالَتْ لَهُ بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ مِنْ زَوَاجِهَا : « إِنَّ ٱلْأَمِيرَةَ ٱلصَّغِيرَةَ قَدْ ضَعُفَتْ لِشِدَّةِ حُزْنِهَا عَلَى أُمِّهَا . وَإِنِّي أَرَى – حِرْصًا عَلَى صِحَّتِهَا ٱلْغَالِيَةِ – أَنْ تَذْهَبَ إِلَى ٱلرِّيفِ ، فَتَتَسَلَّى ، وَتَنْسَى حُزْنَهَا ، وَتَسْتَرِدَّ

عَافِيَتَهَا » . فَوَافَقَ ٱلْمَلِكُ عَلَى رَأْيِ زَوْجَتِهِ ، وَأَرْسَلَ ٱلطِّفْلَةَ ٱلْمِسْكِينَةَ إِلَى ضَيْعَةٍ بَعِيدَةٍ .

وَبِهٰذِهِ ٱلْحِيلَةِ تَخَلَّصَتِ ٱلْمَلِكَةُ مِنَ ٱلْأَمِيرَةِ ، وَبَدَأَتْ تُفَكِّرُ فِي ٱلتَّخَلُّصِ مِنْ إِخْوَتِهَا ، حَتَّى تُصْبِحَ وَحْدَهَا صَاحِبَةَ ٱلْأَمْرِ وَٱلنَّهْيِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ ٱلْمَلِكُ لِلصَّيْدِ ، فَدَعَتِ ٱلْمَلِكَةُ ٱلشِّرِّيرَةُ ٱلْأُمَرَاءَ ، فَأَقْبَلُوا مُسْرِعِينَ ، وَوَقَفُوا أَمَامَهَا خَائِفِينَ ، فَأَخَذَتْ تَنْطِقُ بِأَلْفَاظٍ



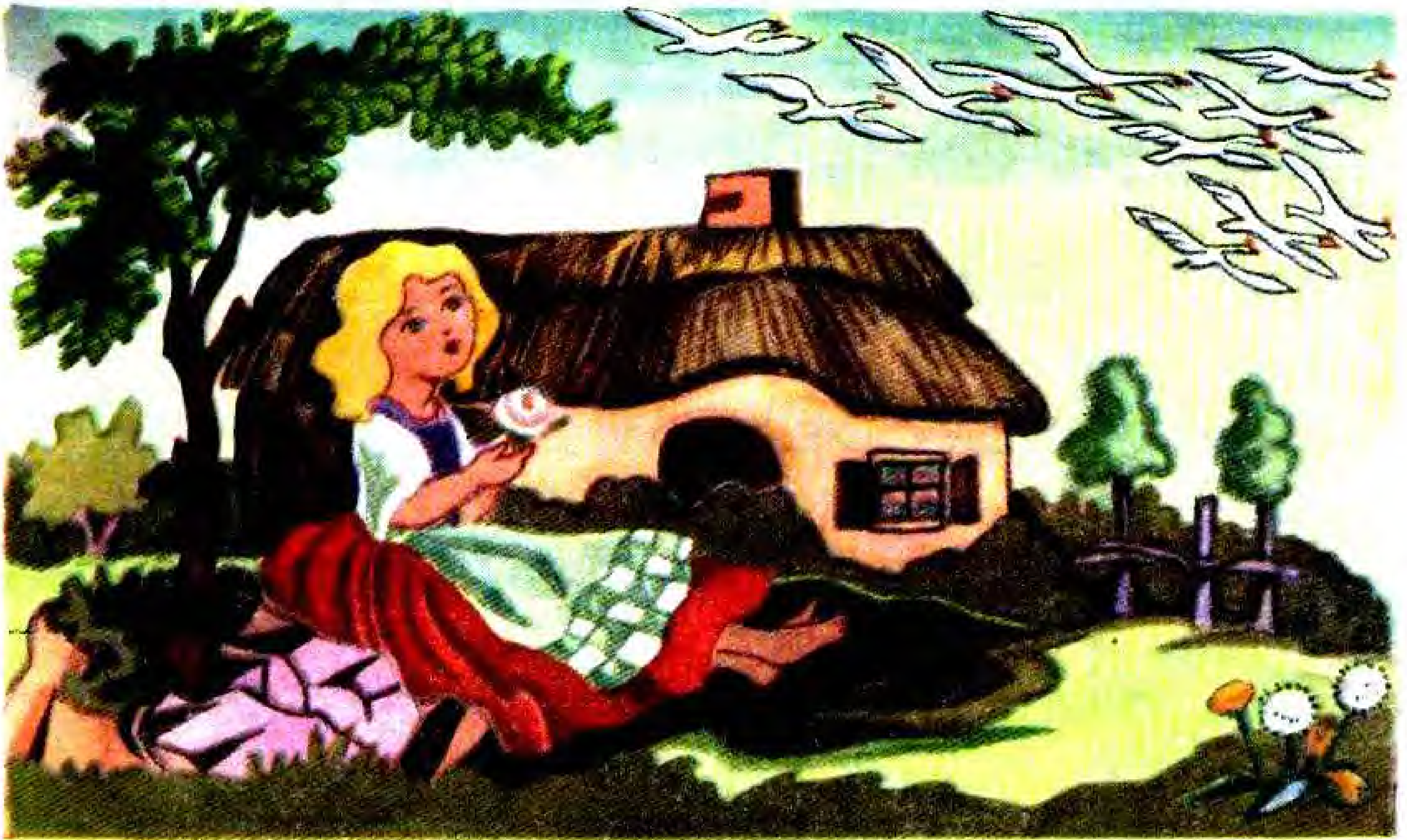


غَرِيبَةٍ ، ثُمَّ أَشَارَتْ إِلَيْهِمْ بِيَدَيْهَا وَقَالَتْ : « طِيرُوا كَعَصَافِيرَ كَبِيرَةٍ، مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ! » . . .

وَفِي ٱلْحَالِ صَارَ ٱلْأُمَرَاءُ ، إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً مُتَوَحِّشَةً ، وَصَرَخُوا صَرْخَةً غَرِيبَةً ، وَطَارُوا فَوْقَ ٱلْقَصْرِ وَٱلْحَدِيقَةِ ، ثُمَّ ٱخْتَفَوْا بَيْنَ ٱلسَّحَابِ . وَٱسْتَمَرُّوا طَائِرِينَ ، حَتَّى صَارُوا فَوْقَ ٱلْمَزْرَعَةِ ٱلْبَعِيدَةِ ، ٱلَّتِي تَعِيشُ فِيهَا أُخْتُهُمْ ، وَشَاهَدُوهَا وَهِيَ تَلْعَبُ ، أَمَامَ ٱلْكُوخِ ٱلَّذِي

تُقِيمُ فِيهِ ، فَحَلَّقُوا فَوْقَهَا ، وَمَدُّوا رِقَابَهُمُ ٱلطَّوِيلَةَ ، وَأَخَذُوا يُخَفِقُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ . وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَرَهُمْ، وَلَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ صَوْتًا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَطِيرُونَ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ! فَٱزْدَادَ حُزْنُهُمْ ، وَٱرْتَفَعُوا بَيْنَ ٱلْغُيُومِ ، وَلَمْ يَهْبِطُوا إِلَّا عَلَى شَاطِئِ بَحْرٍ وَاسِعٍ . . .

وَكَانَتِ ٱلْأَمِيرَةُ ٱلصَّغِيرَةُ ، تَقْضِي نَهَارَهَا أَمَامَ ٱلْكُوخِ ، تَلْعَبُ بِأَوْرَاقِ ٱلْأَشْجَارِ ، فَتَثْقُبُهَا ثُقُوبًا صَغِيرَةً ، وَتَضَعُهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، كَأَنَّهَا

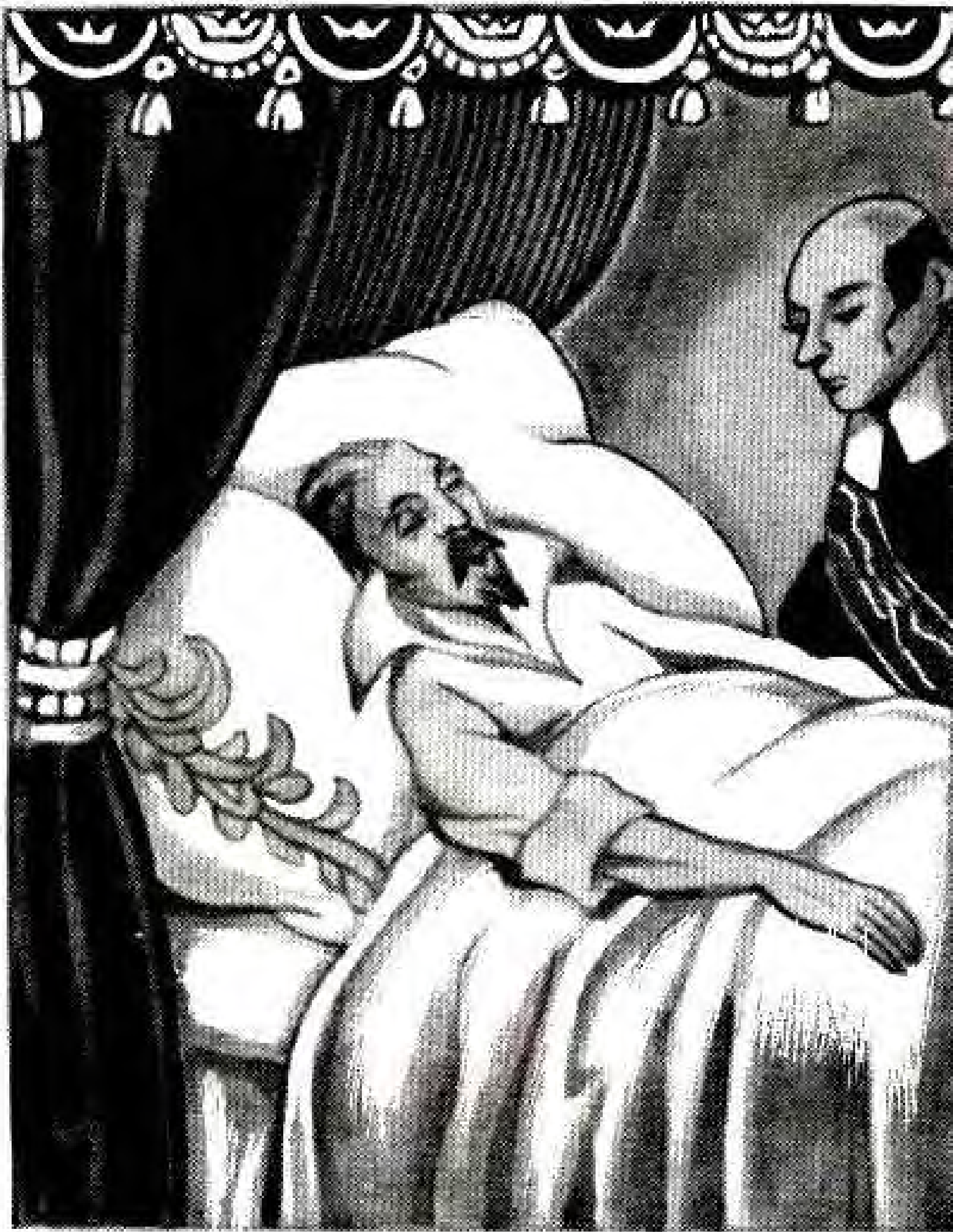


مِنْظَارٌ ، وَتَتَّجِهُ نَحْوَ ٱلشَّمْسِ ، فَتَتَخَيَّلُ أَنَّ إِخْوَتَهَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، بِأَعْيُنِهِمُ ٱلزُّرْقِ ٱلْجَمِيلَةِ . فَإِذَا أَحَسَّتْ بِحَرَارَةِ ٱلشَّمْسِ عَلَى خَدَّيْهَا ، تَخَيَّلَتْ أَنَّ أَحَدَ إِخْوَتِهَا يُقَبِّلُهَا ! . . .

وَمَرَّتِ ٱلْأَيَّامُ ، وَكَبِرَتِ ٱلْأَمِيرَةُ ، وَٱزْدَادَ حُسْنُهَا ، وَٱكْتَمَلَ جَمَالُهَا . وَكَانَتْ إِذَا سَارَتْ بِجَانِبِ شُجَيْرَاتِ ٱلْوَرْدِ ، ٱلَّتِي تُحِيطُ بِٱلْكُوخِ كَأَنَّهَا سُورٌ ، ٱهْتَزَّتِ ٱلشُّجَيْرَاتُ ، وَمَالَتْ نَحْوَهَا ٱلْغُصُونُ ، وَسَمِعَتِ ٱلنَّسِيمَ يَقُولُ : « أَيُّهَا ٱلْوَرْدُ ٱلْجَمِيلُ ! أَتَعْرِفُ فِي ٱلدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجْمَلُ مِنْكَ ؟ » فَيَرُدُّ ٱلْوَرْدُ عَلَى ٱلنَّسِيمِ قَائِلًا : « نَعَمْ ! ٱلْأَمِيرَةُ ٱلطَّاهِرَةُ أَجْمَلُ مِنِّي ! » . . .

أَمَّا ٱلْمَلِكُ فَقَدْ حَزِنَ لِفَقْدِ أَبْنَائِهِ ، وَأَرْسَلَ ٱلرُّسُلَ يَبْحَثُونَ عَنْهُمْ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ سَحَرَتْهُمْ ، وَطَرَدَتْهُمْ .

وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعِيدَ ٱبْنَتَهُ مِنَ ٱلرِّيفِ ، حَتَّى يُخَفِّفَ بِرُؤْيَتِهَا بَعْضَ حُزْنِهِ ، كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَقُولُ لَهُ : « لَا ، لَا تُرْجِعْهَا . . . ٱلْأَحْسَنُ أَنْ



تَبْقَى هُنَاكَ ، حَتَّى لَا تَعْرِفَ مَا جَرَى لِإِخْوَتِهَا ، فَتَمُوتَ حُزْنًا ! »

ثُمَّ مَرِضَ ٱلْمَلِكُ ، فَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَرَى ٱبْنَتَهُ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهَا . فَلَمْ تَسْتَطِعْ زَوْجَتُهُ أَنْ تُخَالِفَهُ ، أَوْ تَعْصِيَ أَمْرَهُ .

وَعَادَتِ ٱلْأَمِيرَةُ إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا، وَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتِ ٱلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَصَارَتْ أَجْمَلَ فَتَاةٍ فِي ٱلدُّنْيَا . فَلَمَّا رَأَتْهَا زَوْجَةُ أَبِيهَا ، ٱمْتَلَأَ قَلْبُهَا بِٱلْغَيْرَةِ وَٱلْحَسَدِ ، وَفَكَّرَتْ فِي أَنْ تَسْحَرَهَا ، كَمَا سَحَرَتْ إِخْوَتَهَا ؛ فَأَمَرَتْ بِإِعْدَادِ ٱلْحَمَّامِ ، حَتَّى تُنَظِّفَ ٱلْأَمِيرَةُ جِسْمَهَا مِنْ تُرَابِ ٱلسَّفَرِ ، وَتَرْتَدِيَ ثِيَابًا تَلِيقُ بِٱبْنَةِ ٱلْمَلِكِ .

وَقَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ ٱلْأَمِيرَةُ ٱلْحَمَّامَ ، دَخَلَتْهُ زَوْجَةُ أَبِيهَا ، وَمَعَهَا ثَلَاثُ ضَفَادِعَ ، وَوَقَفَتْ أَمَامَ ٱلْحَوْضِ ، وَقَبَّلَتِ ٱلضَّفَادِعَ ، وَوَضَعَتْهَا

بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَأَخَذَتْ تَنْطِقُ بِكَلِمَاتٍ سِحْرِيَّةٍ غَرِيبَةٍ. ثُمَّ قَالَتْ لِلضِّفْدِعَةِ ٱلْأُولَى : « قِفِي عَلَى رَأْسِ ٱلْأَمِيرَةِ ، عِنْدَمَا تَنْزِلُ فِي ٱلْحَوْضِ ، لِتُصْبِحَ غَبِيَّةً ! » . وَقَالَتْ لِلثَّانِيَةِ: « قِفِي عَلَى جَبِينِ ٱلْأَمِيرَةِ، لِتَصِيرَ دَمِيمَةً ، قَبِيحَةَ ٱلشَّكْلِ ، فَلَا يَعْرِفُهَا أَبُوهَا ! » وَقَالَتْ لِلثَّالِثَةِ : « قِفِي عَلَى قَلْبِ ٱلْأَمِيرَةِ ، لِتَكُونَ شِرِّيرَةً ، وَلِتَكُونَ آلَامُهَا كَثِيرَةً ! » . . .

وَلَمَّا نَزَلَتِ ٱلْأَمِيرَةُ فِي ٱلْحَوْضِ ، قَفَزَتْ عَلَيْهَا ٱلضَّفَادِعُ ٱلْمَسْحُورَةُ، وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَمَسَّهَا بِأَذًى ؛ لِأَنَّهَا مَا كَادَتْ تَلْمِسُ ٱلْأَمِيرَةَ ٱلتَّقِيَّةَ ، حَتَّى تَحَوَّلَتْ إِلَى ثَلَاثِ وَرْدَاتٍ جَمِيلَاتٍ !...

وَخَرَجَتِ ٱلْأَمِيرَةُ مِنَ ٱلْحَمَّامِ ، وَهِيَ أَجْمَلُ مِمَّا كَانَتْ . فَلَمَّا رَأَتْ زَوْجَةُ أَبِيهَا، أَنَّ ٱلسِّحْرَ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهَا ، دَعَتْهَا إِلَى حُجْرَتِهَا ٱلْخَاصَّةِ، وَأَظْهَرَتْ لَهَا رَغْبَتَهَا فِي أَنْ تُزَيِّنَهَا بِيَدَيْهَا ، قَبْلَ أَنْ تُقَابِلَ وَالِدَهَا .

وَكَانَتِ ٱلْمَلِكَةُ ٱلشِّرِّيرَةُ ، قَدْ جَهَّزَتْ سِحْرًا آخَرَ ، أَشَدَّ وَأَقْوَى ؛ فَطَلَتْ وَجْهَ ٱلْأَمِيرَةِ بِمَرْهَمٍ سِحْرِيٍّ ، وَمَشَطَتْ شَعْرَهَا بِمِشْطٍ



سِحْرِيٍّ ، وَدَلَكَتْ جِسْمَهَا بِعُصَارهِ ٱلْجَوْزِ ٱلْمَسْحُورِ ، فَتَغَيَّرَ شَكْلُ ٱلْأَمِيرَةِ تَغَيُّرًا تَامًّا ، وَٱسْوَدَّ وَجْهُهَا ، وَٱبْيَضَّ شَعْرُهَا ، وَصَارَتْ قَبِيحَةً دَمِيمَةً . فَلَمْ يَكَدِ ٱلْمَلِكُ يَرَاهَا حَتَّى نَفَرَ مِنْهَا ، وَأَمَرَ بِطَرْدِهَا وَ إِبْعَادِهَا ، وَقَالَ إِنَّهَا لَيْسَتِ ٱبْنَتَهُ !

وَلَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِمَّنْ فِي ٱلْقَصْرِ ، وَهِيَ فِي شَكْلِهَا ٱلْقَبِيحِ . . . لَمْ يَعْرِفْهَا سِوَى ٱلْكَلْبِ ! وَلٰكِنْ مَاذَا يَسْتَطِيعُ هٰذَا ٱلْحَيَوَانُ أَنْ يَقُولَ ؟ وَمَاذَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ ؟ !

خَرَجَتِ ٱلْأَمِيرَةُ بَاكِيَةَ ٱلْعَيْنِ ، حَزِينَةَ ٱلْقَلْبِ ، وَأَخَذَتْ تَسِيرُ حَيْثُ تَحْمِلُهَا قَدَمَاهَا ، وَعَبَرَتْ حُقُولًا وَمُسْتَنْقَعَاتٍ ، وَظَلَّتْ سَائِرَةً ، حَتَّى أَقْبَلَ ٱللَّيْلُ ، وَضَلَّتِ ٱلطَّرِيقَ . وَأَحَسَّتْ بِٱلتَّعَبِ ، فَجَلَسَتْ بِجِوَارِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَأَسْنَدَتْ رَأْسَهَا إِلَى جِذْعِهَا . وَكَانَ ٱلنَّسِيمُ لَطِيفًا ، وَٱلسُّكُونُ رَهِيبًا ، فَلَا تَسْمَعُ غَيْرَ حَفِيفِ ٱلشَّجَرِ ، وَخَرِيرِ ٱلْمَاءِ ؛ وَلَا تَرَى إِلَّا ٱلْفَرَاشَاتِ ، فَوْقَ ٱلْحَشَائِشِ وَٱلْأَعْشَابِ ، تَلْمَعُ بِضَوْئِهَا



ٱلْأَخْضَرِ ٱلضَّئِيلِ ، كَمَصَابِيحَ صَغِيرَةٍ يُلَاعِبُهَا ٱلْهَوَاءُ ! . . .

وَغَلَبَهَا ٱلنَّوْمُ ، فَنَامَتْ عَلَى ٱلْعُشْبِ ، بِجِوَارِ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْكَبِيرَةِ . وَلَمَّا ٱسْتَيْقَظَتْ ، تَلَفَّتَتْ حَوْلَهَا ، فَرَأَتْ – بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ ٱلْمُتَشَابِكَةِ – طَرِيقًا ، شَقَّتْهُ ٱلْغِزْلَانُ ، بِكَثْرَةِ سَيْرِهَا فِيهِ ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : لَا بُدَّ أَنَّ هٰذَا ٱلطَّرِيقَ ، يُوَصِّلُ إِلَى ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي أَسْمَعُ خَرِيرَهُ ! . . . فَسَارَتْ فِيهِ ، تُظَلِّلُهَا ٱلْأَشْجَارُ ، وَتَتَسَاقَطُ عَلَيْهَا ٱلثِّمَارُ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، رَأَتْ نَفْسَهَا أَمَامَ يَنْبُوعٍ رَائِقٍ صَافٍ ، فَٱنْحَنَتْ لِتَشْرَبَ ، وَتَغْسِلَ وَجْهَهَا ؛ فَرَأَتْ فِي ٱلْمَاءِ صُورَتَهَا ٱلْقَبِيحَةَ ، فَٱرْتَعَبَتْ وَتَرَاجَعَتْ ، وَصَرَخَتْ وَبَكَتْ . ثُمَّ ٱتَّجَهَتْ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ ، وَأَظْهَرَتِ ٱلصَّبْرَ بِمَا قَدَّرَ

ٱللهُ ، وَشَرِبَتْ ، وَغَسَلَتْ وَجْهَهَا ، فَإِذَا بِهِ يَعُودُ أَبْيَضَ جَمِيلًا ، كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ تَسْحَرَهَا زَوْجَةُ أَبِيهَا ، فَخَلَعَتْ مَلَابِسَهَا ، وَنَزَلَتْ تَسْتَحِمُّ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ ، لَمْ يَكُنْ فِي ٱلدُّنْيَا كُلِّهَا ، أَمِيرَةٌ أَجْمَلُ مِنْهَا !

ثُمَّ أَخَذَتْ تَسِيرُ فِي ٱلْغَابَةِ ، ٱلَّتِي ٱلْتَفَّتْ أَشْجَارُهَا ، وَتَشَابَكَتْ غُصُونُهَا ، فَحَجَبَتْ أَشِعَّةَ ٱلشَّمْسِ . . . وَكَانَ ٱلسُّكُونُ يَمْلَأُ ٱلْمَكَانَ ، فَلَا نَسِيمَ يُحَرِّكُ ٱلْأَوْرَاقَ ، وَلَا عُصْفُورَ يُزَقْزِقُ بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ ، وَلَا صَوْتَ غَيْرَ صَوْتِ تَكَسُّرِ ٱلْأَوْرَاقِ ٱلْجَافَّةِ ، تَحْتَ قَدَمَيْهَا . . .

وَكُلَّمَا سَارَتِ ٱشْتَدَّ ٱلظَّلَامُ ، وَأَقْبَلَ ٱللَّيْلُ حَالِكَ ٱلسَّوَادِ ، فَٱمْتَلَأَ قَلْبُ ٱلْمِسْكِينَةِ بِٱلْخَوْفِ وَٱلْهَمِّ . وَلٰكِنَّهَا سَلَّمَتْ أَمْرَهَا إِلَى ٱللهِ ، وَرَكَعَتْ تُصَلِّي ، ثُمَّ نَامَتْ بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ ، كَمَا يَنَامُ ٱلطَّائِرُ فِي ٱلْقَفَصِ !

وَفِي ٱلصَّبَاحِ ، تَابَعَتْ سَيْرَهَا فِي ٱلْغَابَةِ ، فَشَاهَدَتْ سَيِّدَةً عَجُوزًا ، تَحْمِلُ سَلَّةً ، فَفَرِحَتْ بِرُؤْيَتِهَا ، وَٱقْتَرَبَتْ مِنْهَا ، وَحَيَّتْهَا ، فَرَدَّتْ عَلَيْهَا ٱلْعَجُوزُ تَحِيَّتَهَا ، وَقَدَّمَتْ لَهَا بَعْضَ ٱلْفَاكِهَةِ مِنْ سَلَّتِهَا ، فَشَكَرَتْهَا



ٱلْأَمِيرَةُ ، وَأَنِسَتْ بِهَا ، وَأَخَذَتْ تَسِيرُ بِجِوَارِهَا . ثُمَّ سَأَلَتْهَا : «هَلْ مَرَّ بِكِ - يَاسَيِّدَتِي - أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا يَرْكَبُونَ جِيَادَهُمْ ؟ »

فَأَجَابَتْهَا ٱلْعَجُوزُ : «لَا ، يَابُنَيَّتِي ! لَمْ أُشَاهِدْ أَحَدًا مِنَ ٱلْأُمَرَاءِ ، ٱلَّذِينَ تَتَحَدَّثِينَ عَنْهُمْ . وَلٰكِنِّي رَأَيْتُ بِٱلْأَمْسِ ، إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً مُتَوَحِّشَةً ، عَلَى رُؤُوسِهَا تِيجَانٌ ذَهَبِيَّةٌ ، تَسْبَحُ فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْكَبِيرِ ، ٱلَّذِي فِي نِهَايَةِ ٱلْغَابَةِ » ؛ فَعَادَتِ ٱلْأَمِيرَةُ تَسْأَلُ ٱلسَّيِّدَةَ ٱلْعَجُوزَ :

« وَكَيْفَ أَصِلُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْبَحْرِ ؟ » ، فَأَشَارَتِ ٱلْعَجُوزُ بِيَدِهَا ، وَقَالَتْ : « سِيرِي فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلَّذِي عَنْ يَمِينِكِ ، حَتَّى تَصِلِي إِلَى ٱلنَّهْرِ ، ثُمَّ سِيرِي مَعَهُ ، تَصِلِي إِلَى ٱلْبَحْرِ ٱلْكَبِيرِ ! » . . .

وَمَشَتِ ٱلْأَمِيرَةُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى ٱلنَّهْرِ ، فَأَخَذَتْ تَسِيرُ وَشَاطِئَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى ٱنْتَهَتْ إِلَى مَصَبِّهِ فِي ٱلْبَحْرِ ، وَهُنَاكَ وَقَفَتْ تَتَأَمَّلُ هٰذَا ٱلْمَاءَ ، ٱلَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ، ٱلْمُمْتَدَّةَ زُرْقَتُهُ إِلَى آخِرِ مَا تَرَى عَيْنَاهَا .



وَتَلَفَّتَتْ يَمِينًا وَشِمَالاً ، فَرَأَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهَا – بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي يَقْذِفُهَا ٱلْمَوْجُ عَلَى ٱلشَّاطِئِ – إِحْدَى عَشْرَةَ رِيشَةً بَيْضَاءَ ، فَجَمَعَتْهَا وَنَظَمَتْ مِنْهَا بَاقَةً ، وَأَخَذَتْ تُكَلِّمُهَا وَتَقُولُ : « نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّكِ – أَيَّتُهَا

ٱلرِّيشَاتُ – تَعْرِفِينَ سِرَّ إِخْوَتِي ! . . . لَيْتَكِ تَقُولِينَ لِي : مَاذَا جَرَى لَهُمْ ؟ وَأَيْنَ هُمْ ؟ »

وَقُبَيْلَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ ، شَاهَدَتْ إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً بَرِّيَّةً ، عَلَى رُؤُوسِهَا تِيجَانٌ ذَهَبِيَّةٌ ، تَطِيرُ نَحْوَ ٱلشَّاطِئِ ، كَأَنَّهَا شَرِيطٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ . . . وَلَمَّا وَصَلَتْ هٰذِهِ ٱلْبَجَعَاتُ ، إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِى تَقِفُ فِيهِ ٱلْأَمِيرَةُ ، أَحَاطَتْ بِهَا ، وَأَخَذَتْ تُخْفِقُ بِأَجْنِحَتِهَا ٱلْكَبِيرَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْدِثَ صَوْتًا ! . . . وَمَا كَادَتِ ٱلشَّمْسُ تَغِيبُ ، وَتَخْتَفِي وَرَاءَ ٱلْمَاءِ ، حَتَّى وَقَعَ رِيشُ ٱلْبَجَعَاتِ ، وَصَارَتْ أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا ! . . .

رَأَتِ ٱلْأَمِيرَةُ إِخْوَتَهَا بِجَانِبِهَا ، فَصَاحَتْ فَرَحًا ، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا عَلَيْهِمْ ، وَصَارَتْ تُقَبِّلُهُمْ وَتَحْتَضِنُهُمْ ، وَتُنَادِي كُلًّا مِنْهُمْ بِٱسْمِهِ . وَفَرِحُوا هُمْ كُلَّ ٱلْفَرَحِ بِلِقَاءِ أُخْتِهِمُ ٱلصَّغِيرَةِ ، وَأَخَذُوا يُقَبِّلُونَهَا ، وَهُمْ يَضْحَكُونَ مَرَّةً ، وَيَبْكُونَ مِنْ شِدَّةِ ٱلسُّرُورِ مَرَّةً أُخْرَى .

وَقَصَّ ٱلْإِخْوَةُ عَلَى أُخْتِهِمْ ، مَا فَعَلَتْ بِهِمْ زَوْجَةُ أَبِيهِمْ ، وَكَيْفَ

سَحَرَتْهُمْ ، وَصَيَّرَتْهُمْ بَجَعاتٍ مُتَوَحِّشَاتٍ ، وَطَرَدَتْهُمْ مِنْ مَمْلَكَةِ أَبِيهِمْ . وَقَصَّتِ ٱلْأُخْتُ عَلَى إِخْوَتِهَا ، مَا حَدَثَ لَهَا ، وَكَيْفَ أَبْعَدَتْهَا هٰذِهِ ٱلْمَلِكَةُ ٱلشِّرِّيرَةُ ، سِنِينَ طَوِيلَةً فِي ٱلرِّيفِ ؛ ثُمَّ كَيْفَ شَوَّهَتْ خَلْقَهَا ، وَقَبَّحَتْ شَكْلَهَا ٱلْجَمِيلَ ، حَتَّى نَفَرَ مِنْهَا أَبُوهَا ، وَأَنْكَرَهَا ، وَطَرَدَهَا ... فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ جَمِيعًا ، ضَحِيَّةُ كَرَاهِيَةِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ وَسِحْرِهَا.

وَقَالَ ٱلْأَخُ ٱلْكَبِيرُ لِأُخْتِهِ : « إِنَّنَا نَتَحَوَّلُ إِلَى بَجَعَاتٍ بَرِّيَّةٍ – كَمَا رَأَيْتِ – كُلَّمَا أَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ . فَإِذَا غَابَتْ ، عُدْنَا إِلَى حَالَتِنَا ٱلْأُولَى ، وَصِرْنَا بَشَرًا . وَلِذٰلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا دَائِمًا – قَبْلَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ – أَنْ نَبْحَثَ عَنْ مَكَانٍ أَمِينٍ ، نَقْضِي فِيهِ ٱللَّيْلَ . فَلَوْ غَابَتِ ٱلشَّمْسُ ، وَنَحْنُ طَائِرُونَ بَيْنَ ٱلسُّحُبِ ، فَإِنَّنَا نَسْقُطُ فِي ٱلْبَحْرِ وَنَغْرَقُ ، أَوْ نَقَعُ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَتَتَكَسَّرُ عِظَامُنَا ...

« وَنَحْنُ نَسْكُنُ بَلَدًا جَمِيلًا بَعِيدًا ... بَعِيدًا جِدًّا ، لَا نَصِلُ إِلَيْهِ ، إِلَّا إِذَا عَبَرْنَا هٰذَا ٱلْبَحْرَ ٱلْوَاسِعَ ، وَطِرْنَا يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ . وَلَيْسَ فِي



هٰذَا ٱلْبَحْرِ ٱلْكَبِيرِ ، جَزِيرَةٌ نَقْضِي فِيهَا ٱللَّيْلَ ، وَإِنَّمَا فِيهِ صَخْرَةٌ ، وَحِيدَةٌ صَغِيرَةٌ ، تَسَعُنَا وَاقِفِينَ مُتَلاصِقِينَ . فَإِذَا ثَارَ ٱلْبَحْرُ ، وَهَاجَتِ ٱلْأَمْوَاجُ ، غَمَرَتْنَا وَنَحْنُ وَاقِفُونَ . . . وَحَمْدًا لِلّٰهِ عَلَى هٰذَا ٱلْمَلْجَإِ ، ٱلَّذِي نَقْضِي فِيهِ ٱللَّيْلَ ، وَسَطَ ٱلْبَحْرِ ، بِأَجْسَامِنَا ٱلْبَشَرِيَّةِ ، كُلَّمَا أَرَدْنَا زِيَارَةَ وَطَنِنَا ٱلْعَزِيزِ .

« إِنَّ زَوْجَةَ أَبِينَا ٱلشِّرِّيرَةَ ، حِينَ سَحَرَتْنَا ، سَمَحَتْ لَنَا أَنْ نَزُورَ وَطَنَنَا ، زِيَارَةً وَاحِدَةً فِي ٱلسَّنَةِ ، وَسَمَحَتْ لَنَا أَنْ نَقْضِيَ فِي هٰذِهِ ٱلْغَابَةِ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا . وَمِنَ ٱلْغَابَةِ نَرَى ٱلْقَصْرَ ٱلَّذِي شَهِدَ مَوْلِدَنَا ، وَنُشَاهِدُ قُبَّةَ ٱلْقَبْرِ ٱلَّذِي دُفِنَتْ فِيهِ أُمُّنَا . . .

« وَقَدْ مَضَى عَلَيْنَا ، فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ ، تِسْعَةُ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا إِلَّا يَوْمَانِ ، ثُمَّ نَطِيرُ إِلَى حَيْثُ نَعِيشُ طُولَ ٱلْعَامِ . . . يَجِبُ أَنْ تَذْهَبِي مَعَنَا ، إِلَى مَا وَرَاءَ هٰذَا ٱلْبَحْرِ ٱلْكَبِيرِ ، فَنَعِيشَ كُلُّنَا هُنَاكَ ، فِي هٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْبَعِيدِ . . . وَلٰكِنْ كَيْفَ نَتَمَكَّنُ مِنْ أَخْذِكِ مَعَنَا ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا

زَوْرَقٌ وَلَا سَفِينَةٌ ؟ » . . .

وَسَهِرَ ٱلْأُمَرَاءُ وَأُخْتُهُمْ طُولَ ٱللَّيْلِ يَتَحَدَّثُونَ ، وَيُفَكِّرُونَ فِي طَرِيقَةٍ تُخَلِّصُهُمْ مِنْ سِحْرِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ ، وَتُعِيدُهُمْ إِلَى وَطَنِهِمْ . فَلَمَّا أَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ ، تَحَوَّلَ ٱلْأُمَرَاءُ إِلَى بَجَعَاتٍ مُتَوَحِّشَاتٍ ، وَحَلَّقُوا فِي ٱلْهَوَاءِ ، إِلَّا أَصْغَرَهُمْ ، فَإِنَّهُ بَقِيَ بِجَانِبِ أُخْتِهِ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا ، فَأَخَذَتْ هِيَ تُدَاعِبُ جَنَاحَيْهِ ، وَٱلدُّمُوعُ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيْهَا ...

وَقُبَيْلَ ٱلْغُرُوبِ رَجَعَ ٱلْإِخْوَةُ ٱلْعَشَرَةُ ، وَأَحَاطُوا بِأُخْتِهِمْ وَأَخِيهِمُ ٱلصَّغِيرِ ، حَتَّى غَابَتِ ٱلشَّمْسُ تَمَامًا ، فَعَادُوا إِلَى هَيْئَتِهِمُ ٱلطَّبِيعِيَّةِ ...

وَقَالَ ٱلْأَخُ ٱلْكَبِيرُ : « غَدًا نُسَافِرُ ، وَلَنْ نَعُودَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ ، إِلَّا بَعْدَ سَنَةٍ ؛ وَلَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَكِ وَحْدَكِ هُنَا . . . إِنَّ جَنَاحَيَّ تَحْمِلَانِكِ فَوْقَ ٱلْغَابَةِ ، وَإِنَّ أَجْنِحَتَنَا مُجْتَمِعَةً ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْبُرَ بِكِ ٱلْبَحْرَ . . . فَمَا رَأْيُكِ ؟ » فَقَالَتِ ٱلْأَمِيرَةُ : « خُذُونِي مَعَكُمْ . أَنَا لَا أُطِيقُ ٱلْحَيَاةَ بَعِيدًا عَنْكُمْ ! »



قَضَى ٱلْإِخْوَةُ ٱللَّيْلَ كُلَّهُ ، يَصْنَعُونَ شَبَكَةً مِنْ سِيقَانِ ٱلْخَيْزُرَانِ ، وَأَغْصَانِ ٱلصَّفْصَافِ ٱللَّيِّنَةِ . . . ثُمَّ نَامَتِ ٱلْأَمِيرَةُ فَوْقَ ٱلشَّبَكَةِ . فَلَمَّا أَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ ، وَتَحَوَّلَ ٱلْأُمَرَاءُ إِلَى بَجَعَاتٍ ، حَمَلُوا ٱلشَّبَكَةَ بِمَنَاقِيرِهِمْ ، وَٱلْأَمِيرَةُ نَائِمَةٌ فَوْقَهَا ، وَطَارُوا بَيْنَ ٱلسُّحُبِ . وَحَلَّقَ ٱلْأَخُ ٱلصَّغِيرُ ، فَوْقَ رَأْسِ أُخْتِهِ ٱلنَّائِمَةِ ، لِيَحْجُبَ عَنْهَا أَشِعَّةَ ٱلشَّمْسِ ! ٱسْتَيْقَظَتِ ٱلْأَمِيرَةُ ، فَرَأَتْ نَفْسَهَا طَائِرَةً فَوْقَ ٱلْبَحْرِ ، بَيْنَ إِخْوَتِهَا



ٱلْبَجَعَاتِ ٱلْمُتَوَحِّشَاتِ، وَوَجَدَتْ بِجَانِبِهَا – عَلَى ٱلشَّبَكَةِ – غُصْنًا مَمْلُوءًا بِٱلتُّفَّاحِ ، وَشَاهَدَتْ أَخَاهَا ٱلصَّغِيرَ ، يُرَفْرِفُ فَوْقَهَا ، وَيَحْجُبُ عَنْ وَجْهِهَا أَشِعَّةَ ٱلشَّمْسِ ، فَتَبَسَّمَتْ لَهُ ، وَكَأَنَّهَا فِي حُلْمٍ جَمِيلٍ ! . . .

وَٱرْتَفَعَتِ ٱلْبَجَعَاتُ ٱرْتِفَاعًا عَظِيمًا ، حَتَّى ظَهَرَتْ لَهُمُ ٱلسَّفِينَةُ ٱلْكَبِيرَةُ ، ٱلَّتِي كَانَتْ تَشُقُّ ٱلْبَحْرَ تَحْتَهُمْ ، كَأَنَّهَا عُصْفُورٌ صَغِيرٌ فَوْقَ ٱلْمَاءِ ! ثُمَّ مَالَتِ ٱلشَّمْسُ إِلَى ٱلْمَغِيبِ ، وَٱقْتَرَبَ ٱللَّيْلُ ، وَلَمْ تَظْهَرِ ٱلصَّخْرَةُ

ٱلصَّغِيرَةُ ٱلْوَحِيدَةُ ، ٱلَّتِي فِي وَسَطِ ٱلْبَحْرِ . . . وَرَأَتِ ٱلْأَمِيرَةُ إِخْوَتَهَا يَهُزُّونَ أَجْنِحَتَهُمْ هَزًّا عَنِيفًا ، وَيَهْبِطُونَ مُسْرِعِينَ ، كَأَنَّهُمْ يَسْقُطُونَ ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَرْتَفِعُونَ . فَنَدِمَتْ ، وَأَخَذَتْ تَبْكِي ، وَتَلُومُ نَفْسَهَا ؛ لِأَنَّهَا كَانَتِ ٱلسَّبَبَ فِي طَيَرَانِ إِخْوَتِهَا طَيَرَانًا بَطِيئًا . . .

يَا لَلْحَسْرَةِ ! وَيَا لَلْمُصِيبَةِ ! فَلَوْ غَابَتِ ٱلشَّمْسُ – وَهُمْ لَا يَزَالُونَ طَائِرِينَ – لَعَادُوا بَشَرًا ، وَلَسَقَطُوا جَمِيعًا فِي ٱلْبَحْرِ وَغَرِقُوا !

وَفَجْأَةً ٱمْتَلَأَتِ ٱلسَّمَاءُ بِٱلسُّحُبِ ٱلسُّودِ ، وَلَمَعَ ٱلْبَرْقُ ، وَعَصَفَتِ ٱلرِّيحُ عَصْفًا شَدِيدًا ، وَأَوْشَكَتِ ٱلشَّمْسُ أَنْ تَلْمِسَ ٱلْبَحْرَ . فَجَزِعَتِ ٱلْأَمِيرَةُ وَٱضْطَرَبَتْ ، وَزَادَ بُكَاؤُهَا ، وَٱرْتَفَعَ دُعَاؤُهَا إِلَى ٱللهِ . . .

وَحِينَمَا ظَهَرَتِ ٱلصَّخْرَةُ ، كَانَ قُرْصُ ٱلشَّمْسِ قَدِ ٱخْتَفَى نِصْفُهُ فِي ٱلْبَحْرِ ... وَعِنْدَمَا وَضَعَتِ ٱلْبَجَعَاتُ أَرْجُلَهَا عَلَى ٱلصَّخْرَةِ ، كَانَتِ ٱلشَّمْسُ قَدْ صَارَتْ كَنَجْمٍ صَغِيرٍ . فَلَمَّا غَابَتْ ، وَٱنْطَفَأَ نُورُهَا ، كَآخِرِ شَرَارَةٍ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَرِقُ ، رَأَتِ ٱلْأَمِيرَةُ نَفْسَهَا وَاقِفَةً ، وَحَوْلَهَا إِخْوَتُهَا ،

كُلٌّ مِنْهُمْ يُمْسِكُ بِيَدِ أَخِيهِ، وَٱلْأَمْوَاجُ تَلْطِمُ ٱلصَّخْرَةَ، وَتَعْلُو فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، وَٱلْبَرْقُ يَلْمَعُ، وَٱلرَّعْدُ يُدَوِّي، وَٱلْمَطَرُ يَنْهَمِرُ غَزِيرًا.

قَضَتِ ٱلْأَمِيرَةُ وَإِخْوَتُهَا ٱللَّيْلَ وَاقِفِينَ، مُتَلَاصِقِينَ، يَدْعُونَ ٱللّٰهَ، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُنْقِذَهُمْ، مِنْ هٰذِهِ ٱلْعَاصِفَةِ ٱلْمُفَاجِئَةِ. وَعِنْدَ ٱلْفَجْرِ هَدَأَتِ ٱلرِّيحُ، وَصَفَتِ ٱلسَّمَاءُ... ثُمَّ أَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ، فَطَارَتِ ٱلْبَجَعَاتُ، حَامِلَةً ٱلْأَمِيرَةَ فَوْقَ ٱلشَّبَكَةِ.

وَفِي أَثْنَاءِ طَيَرَانِهِمْ، شَاهَدَتِ ٱلْأَمِيرَةُ جِبَالًا ثَلْجِيَّةً، كَأَنَّهَا سَابِحَةٌ فِي ٱلْفَضَاءِ، وَبَيْنَهَا قَصْرٌ فَخْمٌ، عَالٍ عُلُوَّ ٱلْجِبَالِ نَفْسِهَا، حَوْلَهُ غَابَاتٌ مُمْتَدَّةٌ، وَبَسَاتِينُ وَاسِعَةٌ؛ فَسَأَلَتْ إِخْوَتَهَا: «أَتَنْزِلُونَ هُنَا؟» فَهَزُّوا رُؤُوسَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا... وَمَا زَالُوا طَائِرِينَ، حَتَّى عَبَرُوا ٱلْبَحْرَ ٱلْكَبِيرَ. وَعِنْدَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ هَبَطُوا أَمَامَ كُوخٍ صَغِيرٍ، تُحِيطُ بِهِ ٱلْأَعْشَابُ وَٱلْأَزْهَارُ، كَأَنَّهَا بِسَاطٌ أَخْضَرُ مَنْقُوشٌ.

وَتَنَاوَلُوا عَشَاءَهُمْ، مِنَ ٱلْفَوَاكِهِ ٱلْكَثِيرَةِ، ٱلَّتِي تَمْلَأُ ٱلْمَكَانَ،

وَجلَسُوا يَتَسَامَرُونَ سَاعَةً . ثُمَّ أَمْسَكَ ٱلْأَخُ ٱلصَّغِيرُ بِيَدِ أُخْتِهِ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى ٱلْحُجْرَةِ ٱلَّتِي أَعَدَّهَا لِنَوْمِهَا ، وَقَبَّلَهَا ، وَقَالَ لَهَا : « لِتَكُنْ أَحْلَامُكِ جَمِيلَةً مُبْهِجَةً ، يَا أُخْتِي ٱلْعَزِيزَةَ ! » . . .

نَامَتِ ٱلْأَمِيرَةُ ، وَهِيَ تُفَكِّرُ فِي إِخْوَتِهَا ، فَرَأَتْ فِي نَوْمِهَا سَيِّدَةً جَمِيلَةً ، تَهْبِطُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ، وَتَقْتَرِبُ مِنْهَا ، وَتَقُولُ لَهَا : « فِي ٱسْتِطَاعَتِكِ – أَيَّتُهَا ٱلْفَتَاةُ ٱلطَّاهِرَةُ – أَنْ تُخَلِّصِي إِخْوَتَكِ مِنْ سِحْرِهِمْ ، لَوْ تَشَجَّعْتِ ، وَثَابَرْتِ ، وَتَحَمَّلْتِ ٱلْأَوْجَاعَ وَٱلْآلَامَ . . . ٱنْظُرِي ! إِنَّ حَوْلَ هٰذَا ٱلْكُوخِ ، نَبَاتًا ذَا وَبَرٍ حَادٍّ ، يَقْرُصُ مَنْ يَمَسُّهُ ، وَلِهٰذَا يُسَمِّيهِ ٱلنَّاسُ ٱلْقُرَّاصَ . إِنَّهُ كَثِيرٌ ، وَلٰكِنَّ أَجْوَدَهُ مَا يَنْبُتُ حَوْلَ ٱلْقُبُورِ . . . لَا تَنْسَيْ شَيْئًا مِمَّا أَقُولُ لَكِ ٱلْآنَ : ٱقْطِفِي هٰذَا ٱلْقُرَّاصَ . . . سَوْفَ تَمْتَلِئُ بَشَرَتُكِ بِٱلْقُرُوحِ ، كُلَّمَا لَمَسْتِهِ ؛ وَلٰكِنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ ٱلَّذِي يُخَلِّصُ إِخْوَتَكِ . . . ٱغْزِلِي هٰذَا ٱلْقُرَّاصَ خُيُوطًا ، ثُمَّ ٱصْنَعِي مِنْ خُيُوطِهِ ، أَحَدَ عَشَرَ قَمِيصًا ، بِأَكْمَامٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَلْقِي هٰذِهِ



ٱلْقُمْصَانَ عَلَى إِخْوَتِكِ، فَيَبْطُلَ ٱلسِّحْرُ، وَيَعُودُوا بَشَرًا كَمَا كَانُوا . . .

« وَإِذَا بَدَأْتِ ٱلْعَمَلَ فَٱصْمُتِي ، وَلَا تَتَكَلَّمِي أَبَدًا ، حَتَّى تَنْتَهِيَ ٱلْقُمْصَانُ كُلُّهَا، وَلَوِ ٱسْتَمَرَّ ٱلْعَمَلُ سِنِينَ طَوِيلَةً . . . إِنَّ حَيَاةَ إِخْوَتِكِ مُعَلَّقَةٌ بِلِسَانِكِ ، وَإِنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَلْفُظِينَهَا ، قَبْلَ ٱنْتِهَاءِ ٱلْعَمَلِ ، تَصِيرُ خِنْجَرًا قَاتِلًا ، يُصِيبُ قَلْبَ إِخْوَتِكِ ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ . . . لَا تَنْسَيْ شَيْئًا مِمَّا نَصَحْتُكِ بِهِ . . . تَأَمَّلِي ! هٰذَا هُوَ ٱلْقُرَّاصُ ! » . . .

ٱسْتَيْقَظَتِ ٱلْأَمِيرَةُ فَزِعَةً مَذْعُورَةً ، وَكَأَنَّ نَارًا قَدْ أَصَابَتْ يَدَهَا ، لِأَنَّ ٱلسَّيِّدَةَ ٱلْجَمِيلَةَ لَمَسَتْهَا بِقُرَّاصٍ كَانَ مَعَهَا ! . . .

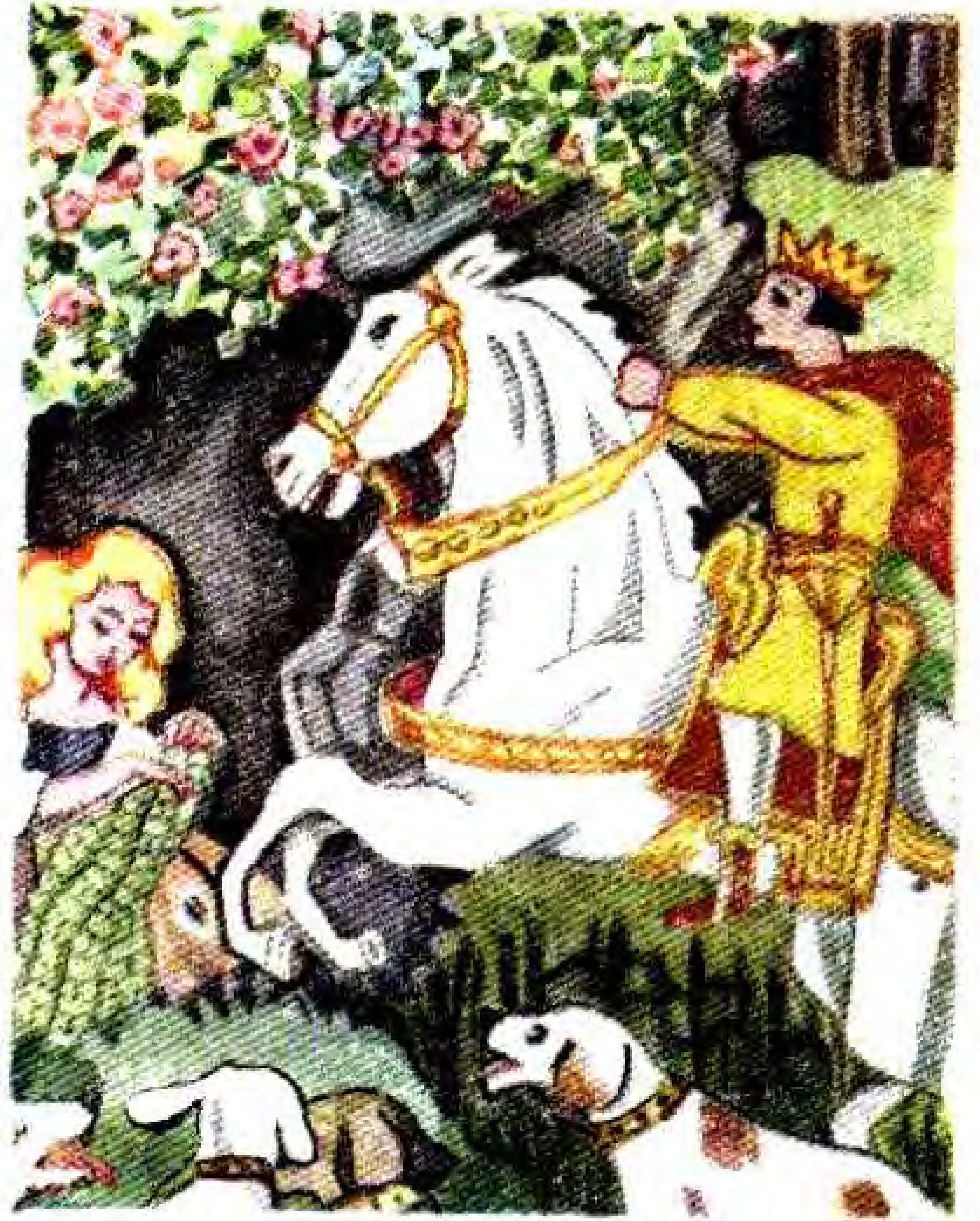
وَسَارَتِ ٱلْأَمِيرَةُ فِي ٱلْبَسَاتِينِ ٱلْوَاسِعَةِ، ٱلَّتِي حَوْلَ ٱلْكُوخِ، فَرَأَتْ شُجَيْرَاتِ قُرَّاصٍ ، تُشْبِهُ مَا شَهِدَتْهُ فِي حُلْمِهَا ، فَسَجَدَتْ شُكْرًا لِلّٰهِ ؛ ثُمَّ أَخَذَتْ تَجْمَعُ ٱلشُّجَيْرَاتِ ٱلْمُحْرِقَةَ ، مُتَحَمِّلَةً ٱلْأَلَمَ ٱلشَّدِيدَ ، رَغْبَةً فِي خَلَاصِ إِخْوَتِهَا ٱلْأَعِزَّاءِ ؛ ثُمَّ سَحَقَتْ سِيقَانَ ٱلشُّجَيْرَاتِ ، بِرِجْلَيْهَا ٱلْعَارِيَتَيْنِ، وَكَوَّنَتْ مِنْهَا خُيُوطًا خُضْرًا ، وَبَدَأَتْ تَنْسِجُ ٱلْقُمْصَانَ . . .

وَلَمَّا عَادَ إِخْوَتُهَا ، عِنْدَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ ، أَفْزَعَهُمْ أَنْ رَأَوْا أُخْتَهُمْ صَامِتَةً لا تَتَكَلَّمُ . وَظَنُّوا أَنَّ هٰذَا سِحْرٌ جَدِيدٌ ، مِنْ عَمَلِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ ، فَحَزِنُوا حُزْنًا شَدِيدًا ؛ وَلٰكِنَّهَا أَشَارَتْ إِلَيْهِمْ بِرَأْسِهَا ، وَأَرَتْهُمْ مَا تَنْسِجُ بِيَدَيْهَا ، فَفَهِمُوا أَنَّهَا قَدْ نَذَرَتِ ٱلصَّمْتَ .

أَمَّا ٱلْأَخُ ٱلصَّغِيرُ ، فَٱرْتَمَى عَلَى أُخْتِهِ ، وَأَخَذَ يَحْتَضِنُهَا ، وَيَبْكِي ، فَكَانَتْ دُمُوعُهُ ، إِذَا سَالَتْ عَلَى قُرُوحِهَا ، شَفَتْهَا وَأَزَالَتْ أَثَرَهَا !

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، بَيْنَمَا كَانَتِ ٱلْأَمِيرَةُ أَمَامَ ٱلْكُوخِ ، جَالِسَةً تَنْسِجُ كَعَادَتِهَا ، إِذْ سَمِعَتْ صَوْتَ بُوقٍ يُدَوِّي فِي ٱلْغَابَةِ ، فَٱرْتَاعَتْ ، وَمَلَأَ ٱلْخَوْفُ قَلْبَهَا . . . وَأَخَذَ صَوْتُ ٱلْبُوقِ يَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَيَقْتَرِبُ مَعَهُ نُبَاحُ كِلَابٍ ، فَجَمَعَتِ ٱلْقُرَّاصَ ، وَحَزَمَتْهُ ، وَجَلَسَتْ عَلَيْهِ .

وَفَجْأَةً ظَهَرَ كَلْبٌ كَبِيرٌ ، مِنْ كِلَابِ ٱلصَّيْدِ ، وَتَبِعَهُ ثَانٍ وَثَالِثٌ وَرَابِعٌ . وَأَحَاطَتِ ٱلْكِلَابُ بِٱلْأَمِيرَةِ ، وَأَخَذَتْ تَنْبَحُ ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ ، وَصَلَ



ٱلصَّيَّادُونَ ، وَهُمْ مَلِكُ ٱلْبِلَادِ وَبَعْضُ حَاشِيَتِهِ وَأَصْدِقَائِهِ .

نَظَرَ ٱلْمَلِكُ إِلَى ٱلْأَمِيرَةِ ، فَإِذَا هِيَ أَجْمَلُ فَتَاةٍ ، رَآهَا فِي حَيَاتِهِ ، فَمَالَ قَلْبُهُ إِلَيْهَا ، وَتَقَدَّمَ نَحْوَهَا ، وَسَأَلَهَا : « مَنْ أَنْتِ أَيَّتُهَا ٱلْفَتَاةُ ٱللَّطِيفَةُ ؟! »

هَزَّتِ ٱلْأَمِيرَةُ رَأْسَهَا ، وَلَمْ تَنْطِقْ ، فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : « تَكَلَّمِي !... كَيْفَ تَعِيشِينَ هُنَا ؟ وَمَعَ مَنْ تَعِيشِينَ ؟ » فَظَلَّتْ صَامِتَةً ، فَعَادَ ٱلْمَلِكُ يَقُولُ : « لَا يَلِيقُ بِفَتَاةٍ جَمِيلَةٍ مِثْلِكِ ، أَنْ تَعِيشَ فِي هٰذَا ٱلْكُوخِ ... تَعَالَيْ مَعِي ... لَوْ ظَهَرَ أَنَّكِ طَيِّبَةٌ ، مِثْلَمَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ ، فَإِنِّي أُسْكِنُكِ أَفْخَمَ قَصْرٍ ، وَأُلْبِسُكِ ٱلْحَرِيرَ وَٱلْمُخْمَلَ ، وَأَضَعُ عَلَى رَأْسِكِ تَاجًا ، مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْجَوَاهِرِ ٱلنَّادِرَةِ » . ثُمَّ أَمَرَ أَحَدَ ٱلضُّبَّاطِ ، فَحَمَلَ



ٱلْأَمِيرَةَ ، وَهِيَ تَبْكِي وَتَتَلَوَّى ، وَأَرْكَبَهَا وَرَاءَ ٱلْمَلِكِ ...

وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى ٱلْقَصْرِ ٱلْمَلَكِيِّ ، أَخَذَتِ ٱلْوَصِيفَاتُ يُزَيِّنَّ ٱلْأَمِيرَةَ ، وَيُلْبِسْنَهَا ثِيَابًا مَلَكِيَّةً فَاخِرَةً ، وَيُجَدِّلْنَ شَعْرَهَا بِٱلْجَوَاهِرِ ... وَقَدْ وَضَعْنَ فِي يَدَيْهَا قُفَّازَيْنِ رَقِيقَيْنِ نَاعِمَيْنِ ، حَتَّى لَا تَظْهَرَ ٱلْقُرُوحُ ٱلَّتِي فِيهِمَا ... وَبَدَتِ ٱلْأَمِيرَةُ فِي ٱلثِّيَابِ ٱلْحَرِيرِيَّةِ وَٱلْجَوَاهِرِ ٱلثَّمِينَةِ ، أَجْمَلَ فَتَاةٍ فِي ٱلدُّنْيَا . وَأُعْجِبَ كُلُّ مَنْ فِي ٱلْقَصْرِ ، بِجَمَالِهَا وَكَمَالِهَا ؛ وَكَانُوا جَمِيعًا يَنْحَنُونَ أَمَامَهَا ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ أَنَّهَا تَنْطِقُ وَتُكَلِّمُهُمْ ...

أَمَّا ٱلْمَلِكُ فَقَدِ ٱمْتَلَأَ قَلْبُهُ بِحُبِّهَا ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْبُعْدَ عَنْهَا . وَكَانَ شَابًّا فَتِيًّا ، لَمْ يَتَزَوَّجْ ، فَٱخْتَارَهَا زَوْجَةً لَهُ ، وَشَرِيكَةً لِحَيَاتِهِ ، فَعَمَّتِ ٱلْأَفْرَاحُ ٱلْبِلَادَ ، وَأُقِيمَتِ ٱلزِّينَاتُ ، وَصَدَحَتِ ٱلْمُوسِيقَى ، وَغَنَّتِ ٱلْمُغَنِّيَاتُ ، وَرَقَصَتِ ٱلرَّاقِصَاتُ ، وَوُزِّعَتْ عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ ٱلْمَلَابِسُ وَٱلْهِبَاتُ .

وَأَصْبَحَتِ ٱبْنَةُ ٱلْغَابَةِ مَلِكَةَ ٱلْبِلَادِ ، وَلٰكِنَّهَا ظَلَّتْ صَامِتَةً ، لَا تَنْطِقُ وَلَا تَتَبَسَّمُ ، وَلَا يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِهَا غَيْرُ ٱلْحُزْنِ .



وَبَعْدَ أَنِ ٱنْتَهَى ٱلْحَفْلُ، سَارَ ٱلْمَلِكُ وَعَرُوسُهُ، حَتَّى وَصَلَا إِلَى إِحْدَى ٱلْغُرَفِ، فَفَتَحَهَا، وَقَالَ لَهَا: «هٰذِهِ حُجْرَتُكِ ٱلْخَاصَّةُ!» وَأَدَارَتِ ٱلْمَلِكَةُ نَظَرَهَا فِي ٱلْغُرْفَةِ، فَرَأَتْهَا مَفْرُوشَةً بِبِسَاطٍ ثَمِينٍ أَخْضَرَ مَنْقُوشٍ، يُشْبِهُ ٱلْعُشْبَ وَٱلزَّهْرَ، ٱلَّذِي حَوْلَ كُوخِ إِخْوَتِهَا. وَشَاهَدَتْ عَلَى ٱلْبِسَاطِ حُزْمَةَ خُيُوطِ ٱلْقُرَّاصِ، وَٱلْقُمْصَانَ ٱلَّتِي نَسَجَتْهَا، فَٱحْمَرَّ خَدَّاهَا، وَمَالَتْ عَلَى يَدِ ٱلْمَلِكِ وَقَبَّلَتْهَا، دُونَ أَنْ تَتَكَلَّمَ، وَلٰكِنَّ نَظَرَاتِهَا كَانَتْ تَنْطِقُ بِحَنَانٍ عَمِيقٍ، وَحُبٍّ شَدِيدٍ...

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِعَرُوسِهِ: «سَتَجِدِينَ هُنَا كُلَّ مَا تُحِبِّينَ، وَسَتَعِيشِينَ أَسْعَدَ حَيَاةٍ... وَلَقَدْ أَمَرْتُ بِإِحْضَارِ هٰذِهِ ٱلْحُزْمَةِ، وَتِلْكَ ٱلْقُمْصَانِ،

لِأَنِّي رَأَيْتُكِ تَحْرِصِينَ عَلَيْهَا ... » فَنظَرَتْ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْنِ بَاكِيَتَيْنِ ، وَلَمْ تَتَكَلَّمْ ، لِأَنَّ أَيَّ كَلِمَةٍ تَقُولُهَا تُهْلِكُ إِخْوَتَهَا !

وَكُلَّمَا مَرَّتِ ٱلْأَيَّامُ ، ٱزْدَادَتْ حُبًّا لِلْمَلِكِ ، وَٱزْدَادَ ٱلْمَلِكُ حُبًّا لَهَا ، فَقَدْ كَانَتْ تَفْعَلُ كُلَّ مَا تَسْتَطِيعُ لِتُسْعِدَهُ ، وَتُدْخِلَ ٱلسُّرُورَ إِلَى قَلْبِهِ . أَمَّا حَدِيثُهَا مَعَهُ ، وَمَعَ ٱلْوَصِيفَاتِ وَٱلْخَدَمِ ، فَكَانَ بِحَرَكَاتِ يَدَيْهَا ، وَإِشَارَاتِ عَيْنَيْهَا .

وَفِي سُكُونِ ٱللَّيْلِ ، كَانَتْ تَذْهَبُ إِلَى حُجْرَتِهَا ٱلْخَاصَّةِ ، وَتَبِيتُ سَاهِرَةً إِلَى ٱلصَّبَاحِ تَنْسِجُ ، حَتَّى أَتَمَّتْ سِتَّةَ قُمْصَانٍ ، وَبَدَأَتْ تَنْسِجُ ٱلسَّابِعَ ... ثُمَّ ٱنْتَهَى ٱلْخَيْطُ ! فَمَاذَا تَفْعَلُ ، وَٱلْقُرَّاصُ ٱلْجَيِّدُ لَا يَنْبُتُ إِلَّا حَوْلَ ٱلْمَقَابِرِ ، وَمِنَ ٱلْوَاجِبِ أَنْ تَقْطِفَهُ بِنَفْسِهَا ؟...

قَطَعَتِ ٱلدَّهَالِيزَ ٱلطَّوِيلَةَ ، وَسَارَتْ فِي ٱلْحَدِيقَةِ ، تَحْتَ ضَوْءِ ٱلْقَمَرِ ، وَهِيَ تَرْجُفُ ، كَمَنْ يُقْدِمُ عَلَى خَطِيئَةٍ كَبِيرَةٍ ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى ٱلشَّوَارِعِ ٱلْخَالِيَةِ ٱلْمُوحِشَةِ ، وَأَخَذَتْ تَمْشِي ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى ٱلْقُبُورِ ... وَهُنَاكَ



رَأَتْ جَمَاعَةً مِنَ السَّاحِرَاتِ ، تَمْشِي بَيْنَ الْمَدَافِن ، فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِنّ لَمْ تَخَفْ مِنْ شَكْلِهِنَّ الْمُخِيفِ وَنَظَرَاتِهِنَّ الْقَاسِيَةِ ، وَلا رَدَّتْ عَلَى أَسْئِلَتِهِنَّ الْكَثِيرَةِ ، بَلْ أَخَذَتْ تَسِيرُ بَيْنَهُنَّ صَامِتَةً ، وَمَضَتْ تَقْطِفُ الْقُرَّاصَ الْمُحْرِق ...

وَكَانَ أَحَدُ ٱلضُّبَّاطِ قَدْ شَاهَدَهَا ، وَهِيَ تُغَادِرُ ٱلْقَصْرَ ، وَتَبِعَهَا . فَلَمَّا رَآهَا تَسِيرُ بَيْنَ ٱلسَّاحِرَاتِ ، ٱلْبَشِعَاتِ ، ٱعْتَقَدَ أَنَّ بِنْتَ ٱلْغَابَةِ

ٱلْجَمِيلَةَ ، ٱلَّتِي صَارَتْ مَلِكَةَ ٱلْبِلَادِ ، لَيْسَتْ إِلَّا سَاحِرَةً ، خَدَعَتِ ٱلْمَلِكَ ، وَخَدَعَتِ ٱلشَّعْبَ جَمِيعَهُ .

وَأَسْرَعَ هٰذَا الْضَّابِطُ إِلَى الْمَلِكِ ،وَأَخْبَرَهُ أَنَّ زَوْجَتَهُ سَاحِرَةٌ ، تَذْهَبُ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَقَابِرِ ،وَتَجْمَعُ الْأَعْشَابَ الَّتِي تَنْبُتُ حَوْلَهَا ! فَحَزِنَ الْمَلِكُ ، وَسَقَطَتِ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيْهِ ، وَمَزَّقَ الْغَمُّ قَلْبَهُ ، وَقَضَى لَيَالِيَ كَثِيرَةً لَا يَذُوقُ فِيهَا ٱلنَّوْمَ ، وَصَارَ يُرَاقِبُ زَوْجَتَهُ ، بِدُونِ أَنْ تَشْعُرَ ، وَيَتْبَعُهَا كُلَّمَا ذَهَبَتْ إِلَى ٱلْغُرْفَةِ ٱلصَّغِيرَةِ .

كَانَ وَجْهُ ٱلْمَلِكِ يَكْمَدُ ، وَيَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، وَلَاحَظَتِ ٱلْمَلِكَةُ ٱلْمِسْكِينَةُ هٰذَا ٱلتَّغَيُّرَ ، وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفْ لَهُ سَبَبًا ، فَزَادَتْ هُمُومُهَا وَأَحْزَانُهَا ، وَأَخَذَتْ دُمُوعُهَا تَتَسَاقَطُ عَلَى ٱلْمُخْمَلِ وَٱلْحَرِيرِ ، كَالْأَلْمَاسِ ٱلْبَرَّاقِ ! وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَفْقِدْ شَجَاعَتَهَا وَصَبْرَهَا ، بَلْ وَاصَلَتْ عَمَلَهَا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا قَمِيصٌ وَاحِدٌ ... وَٱنْتَهَى ٱلْخَيْطُ !

وَوَجَدَتِ ٱلْمَلِكَةُ نَفْسَهَا مُضْطَرَّةً ، مَرَّةً أُخْرَى ، إِلَى أَنْ تَذْهَبَ إِلَى

ٱلْمَقَابِرِ ، لِتَقْطِفَ ٱلْقُرَّاصَ . وَكَانَتْ ضَيِّقَةَ ٱلصَّدْرِ بِوَحْشَةِ ٱلْقُبُورِ ، وَبِمَنْظَرِ ٱلسَّاحِرَاتِ ذَوَاتِ ٱلْوُجُوهِ ٱلْقَبِيحَةِ ، وَلٰكِنَّهَا كَانَتْ قَوِيَّةَ ٱلْإِرَادَةِ ، عَظِيمَةَ ٱلثِّقَةِ بِٱللّٰهِ ، شَدِيدَةَ ٱلرَّغْبَةِ فِي خَلَاصِ إِخْوَتِهَا ، مَهْمَا تَحَمَّلَتْ مِنْ آلَامٍ .

فَلَمَّا ٱنْتَصَفَ ٱللَّيْلُ ، خَرَجَتْ مِنَ ٱلْقَصْرِ . وَفِي هٰذِهِ ٱلْمَرَّةِ تَبِعَهَا ٱلْمَلِكُ بِنَفْسِهِ ، وَمَعَهُ ٱلضَّابِطُ ٱلَّذِي رَآهَا فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلسَّابِقَةِ ، فَشَاهَدَاهَا تَسِيرُ بَيْنَ ٱلْقُبُورِ ، وَلَمَحَا ٱلسَّاحِرَاتِ ٱلْبَشِعَاتِ ، فَتَرَاجَعَ ٱلْمَلِكُ مُشْمَئِزًّا ، وَقَالَ : « فَلْيُحَاكِمْهَا ٱلشَّعْبُ ! » ...

وَقُبِضَ عَلَى ٱلْمِسْكِينَةِ ، وَأُلْقِيَتْ فِي سِجْنٍ مُظْلِمٍ مُخِيفٍ ، لَيْسَ فِيهِ إِلَّا نَافِذَةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ ، ذَاتُ قُضْبَانٍ مِنْ حَدِيدٍ ؛ فَأَخَذَتْ تُصَلِّي ، وَتَبْكِي ، وَتَدْعُو ٱللّٰهَ ، وَتَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يُنَجِّيَهَا ، وَيُظْهِرَ بَرَاءَتَهَا .

وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي ، إِذْ وَقَفَتْ عَلَى قُضْبَانِ ٱلنَّافِذَةِ بَجَعَةٌ صَغِيرَةٌ ، وَأَخَذَتْ تُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْدِثَ صَوْتًا ... إِنَّهُ أَخُوهَا

ٱلصَّغِيرُ . لَا شَكَّ أَنَّ إِخْوَتَهَا لَيْسُوا بَعِيدِينَ عَنْهَا . فَيَا لَلْفَرَحِ !

وَفَجْأَةً مَلَأَ ٱلنُّورُ ٱلْحُجْرَةَ، وَوَقَفَ بُلْبُلٌ عَلَى قُضْبَانِ ٱلنَّافِذَةِ، وَأَخَذَ يُغَنِّي، بِصَوْتِهِ ٱلْجَمِيلِ ٱلْحَنُونِ، وَٱمْتَلَأَتِ ٱلْحُجْرَةُ بِفِئْرَانٍ بِيضٍ صِغَارٍ، كَانَتْ تَتَحَرَّكُ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَتَجُرُّ ٱلْقُرَّاصَ وَٱلْقُمْصَانَ، وَتَضَعُهَا عِنْدَ قَدَمَيْهَا !... حَمْدًا لَكَ يَارَبِّ وَشُكْرًا ...

وَقَضَتِ ٱلْمَلِكَةُ ٱللَّيْلَ كُلَّهُ سَاهِرَةً، تَنْسِجُ ٱلْقَمِيصَ ٱلْأَخِيرَ !

وَقُبَيْلَ شُرُوقِ ٱلشَّمْسِ، وَقَفَ أَمَامَ ٱلْقَصْرِ ٱلْمَلَكِيِّ، أَحَدَ عَشَرَ فَتًى شَرِيفًا، وَطَلَبُوا أَنْ يُقَابِلُوا ٱلْمَلِكَ. فَقَالَ لَهُمُ ٱلْحُرَّاسُ: « إِنَّ ٱلْوَقْتَ لَيْلٌ، وَمِنَ ٱلْمُحَالِ أَنْ تُقَابِلُوا ٱلْمَلِكَ ٱلْآنَ » . فَأَخَذَ ٱلْفِتْيَانُ يَرْجُونَ ٱلْحَرَسَ تَارَةً ، وَيُهَدِّدُونَهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، وَهُمْ يَصِيحُونَ بِأَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ... ثُمَّ ظَهَرَتِ ٱلشَّمْسُ، فَٱخْتَفَى ٱلْأَحَدَ عَشَرَ فَتًى، وَٱنْقَلَبُوا إِلَى إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً مُتَوَحِّشَةً ، طَارَتْ وَحَطَّتْ فَوْقَ ٱلْقَصْرِ ...

وَجَاءَ ٱلْقُضَاةُ إِلَى ٱلسِّجْنِ، لِيُعِيدُوا سُؤَالَ ٱلْمَلِكَةِ عَنْ جَرِيمَتِهَا،



فَلَمْ تنطِقْ بِكَلِمَةٍ، بَلْ هَزَّتْ رَأْسَهَا ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِمْ ، كَأَنَّهَا تقُولُ لَهُمْ : لا تُلِحُّوا فِي سُؤَالِي ، فَلَنْ أَتَكَلَّمَ . فَلَمَّا أَخْبَرُوهَا أَنَّ ٱلشَّعْبَ قَدْ حَكَمَ عَلَيْهَا بِٱلْمَوْتِ حَرْقًا ، وَأَنَّهَا - إِنْ لَمْ تُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهَا - تُحْرَقُ عِنْدَ ٱلظُّهْرِ ، فَتَحَتْ فَمَهَا ، وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، لٰكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ أَنَّ إِخْوَتَهَا يَهْلِكُونَ لَوْ نَطَقَتْ ، وَأَنَّ عَذَابَهَا ٱلْأَلِيمَ ، وَدُمُوعَهَا ٱلْغَزِيرَةَ ، وَسَهَرَهَا ٱلطَّوِيلَ ، يَضِيعُ كُلُّهُ بِلَا فَائِدَةٍ ، فَلَزِمَتِ ٱلسُّكُوتَ .

وَعِنْدَ ٱلظُّهْرِ أُخْرِجَتْ مِنَ ٱلسِّجْنِ ، وَأُرْكِبَتْ عَرَبَةً حَقِيرَةً يَجُرُّهَا حِصَانٌ هَزِيلٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتُرُ جِسْمَهَا غَيْرُ قَمِيصٍ خَشِنٍ . وَكَانَ شَعْرُهَا ٱلذَّهَبِيُّ يَتَدَلَّى عَلَى ظَهْرِهَا ، وَكَانَ وَجْهُهَا أَصْفَرَ ، كَصُفْرَةِ ٱلْأَمْوَاتِ ، وَشَفَتَاهَا تَرْتَجِفَانِ ، كَأَنَّهَا تَدْعُو ٱللّٰهَ هَمْسًا . أَمَّا أَصَابِعُهَا فَكَانَتْ تَنْسِجُ ٱلْخُيُوطَ ٱلْخُضْرَ ...

لَقَدْ كَانَتِ ٱلْقُمْصَانُ ٱلْعَشَرَةُ تَحْتَ قَدَمَيْهَا ، وَٱلْقَمِيصُ ٱلْحَادِي عَشَرَ بَيْنَ يَدَيْهَا . وَكَانَتِ ٱلْعَرَبَةُ ٱلْحَقِيرَةُ ، تَسِيرُ بِهَا بَطِيئَةً ، بَيْنَ جُمُوعِ

ٱلشَّعْبِ ، ٱلَّتِي تَسْخَرُ مِنْهَا وَتَلْعَنُهَا ؛ فَهٰذَا يَقُولُ : « ٱنْظُرُوا كَيْفَ تُزَمْزِمُ ٱلسَّاحِرَةُ ! » ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ آخَرُ بِجَانِبِهِ : « تَأَمَّلُوا مَا تَصْنَعُهُ بِيَدَيْهَا ! » ، فَيَصِيحُ ثَالِثٌ : « إِنَّهَا لَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ سِحْرَهَا لَحْظَةً » ، ثُمَّ يَعْلُو صَوْتٌ رَابِعٌ قَائِلًا : « لِنَنْزِعْ مِنْهَا هٰذَا ٱلنَّسِيجَ ... لِنُمَزِّقْهُ قِطَعًا ! »

وَثَارَتِ ٱلْجُمُوعُ ٱلْمُحْتَشِدَةُ ، وَهَمَّتْ بِٱلْهُجُومِ عَلَى ٱلْبَرِيئَةِ ، وَلٰكِنْ ظَهَرَتْ فِي ٱلْجَوِّ ، إِحْدَى عَشْرَةَ بَجَعَةً بَيْضَاءَ ، حَلَّقَتْ فَوْقَ ٱلْعَرَبَةِ ، ثُمَّ حَطَّتْ عَلَى جَوَانِبِهَا ، وَأَخَذَتْ تَهُزُّ أَجْنِحَتَهَا هَزًّا عَنِيفًا مُتَوَاصِلًا ، فَتَرَاجَعَتِ ٱلْجُمُوعُ مَذْعُورَةً ، وَأَخَذَتْ تَصِيحُ : « هٰذَا إِعْلَانٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ! لَعَلَّهَا بَرِيئَةٌ ! » ...

وَفِي وَسَطِ ٱلْمَيْدَانِ ، وَعِنْدَمَا حَاوَلَ ٱلْحَارِسُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى يَدِ ٱلْمَلِكَةِ ، لِيُنْزِلَهَا مِنَ ٱلْعَرَبَةِ ، وَيُقَيِّدَهَا ، أَلْقَتْ هِيَ ٱلْأَحَدَ عَشَرَ قَمِيصًا عَلَى ٱلْبَجَعَاتِ ، فَتَحَوَّلَتْ فِي ٱلْحَالِ ، إِلَى أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا ، عَلَى رُؤُوسِهِمْ تِيجَانٌ مِنْ ذَهَبٍ ، إِلَّا ٱلْأَخَ ٱلصَّغِيرَ ، فَقَدْ لَقِيَ أَحَدُ

جَنَاحَيْهِ ، لِأَنَّ قَمِيصَهُ كَانَ نَاقِصًا كُمًّا !

وَهَاجَ ٱلشَّعْبُ ، وَعَلَا صِيَاحُهُ ، وَآمَنَ بِبَرَاءَةِ مَلِكَتِهِ ، فَأَخَذَ يَهْتِفُ بِحَيَاتِهَا . وَنَهَضَ ٱلْمَلِكُ مِنْ كُرْسِيِّهِ ، وَقَصَدَ إِلَى حَيْثُ كَانَتِ ٱلْمَلِكَةُ وَاقِفَةً فِي ٱلْعَرَبَةِ ، وَحَوْلَهَا إِخْوَتُهَا ...

وَفِي هٰذِهِ ٱللَّحْظَةِ حَدَثَتْ مُعْجِزَةٌ أُخْرَى ، فَقَدْ تَحَوَّلَتْ أَعْوَادُ ٱلْحَطَبِ ، ٱلَّتِي كَانَتْ مُجَهَّزَةً لِإِحْرَاقِ ٱلْمَلِكَةِ ، إِلَى أَشْجَارٍ مُورِقَةٍ ، مُمْتَلِئَةٍ بِٱلْوُرُودِ ، وَصَارَ مَيْدَانُ ٱلتَّعْذِيبِ بُسْتَانًا ، كُلُّهُ وَرْدٌ أَحْمَرُ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا وَرْدَةٌ وَاحِدَةٌ بَيْضَاءُ ، تَلْمَعُ كَٱلنَّجْمِ !

قَطَفَ ٱلْمَلِكُ ٱلْوَرْدَةَ ٱلْبَيْضَاءَ ، وَسَارَ نَحْوَ ٱلْمَلِكَةِ ، وَوَضَعَ ٱلْوَرْدَةَ عَلَى صَدْرِهَا ، فَٱبْتَسَمَتْ ، وَظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِهَا عَلَامَاتُ ٱلسَّعَادَةِ وَٱلسَّلَامِ ، وَتَكَلَّمَتْ أَمَامَهُ لِلْمَرَّةِ ٱلْأُولَى ، وَقَالَتْ : « أَشْكُرُكَ يَا مَوْلَايَ ! »

ذَهِلَ ٱلْمَلِكُ ، حِينَ سَمِعَهَا تَتَكَلَّمُ ، وَكَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا خَرْسَاءُ ، وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا يَفْعَلُ ، فَأَخَذَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَيُحَمْلِقُ فِي وَجْهِ

ٱلْمَلِكَةِ حِينًا ، وَفِي وُجُوهِ إِخْوَتِهَا حِينًا آخَرَ . فَٱقْتَرَبَ مِنْهُ أَكْبَرُ ٱلْأُمَرَاءِ، وَٱنْحَنَى أَمَامَهُ ، وَحَيَّاهُ فِي أَدَبٍ وَٱحْتِرَامٍ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ بِٱخْتِصَارٍ ...

وَبَيْنَمَا ٱلشَّعْبُ ذَاهِلٌ ، مَأْخُوذٌ بِمَا حَدَثَ أَمَامَهُ مِنْ عَجَائِبَ ، إِذَا بِهِ يَرَى عَجِيبَةً أُخْرَى : فَقَدْ تَحَوَّلَتْ عَرَبَةُ ٱلسِّجْنِ ٱلْحَقِيرَةُ ، إِلَى عَرَبَةٍ مَلَكِيَّةٍ فَخْمَةٍ كَبِيرَةٍ ؛ فَجَلَسَتِ ٱلْمَلِكَةُ فِي ٱلْوَسَطِ ، وَعَنْ يَمِينِهَا ٱلْمَلِكُ، وَعَنْ يَسَارِهَا أَخُوهَا ٱلصَّغِيرُ ، ذُو ٱلْجَنَاحِ ؛ وَأَحَاطَ بِهِمْ سَائِرُ ٱلْإِخْوَةِ. ثُمَّ عَادَ ٱلْجَمِيعُ إِلَى قَصْرِ ٱلْمَلِكِ ، فِي مَوْكِبٍ لَمْ تَرَ ٱلْعُيُونُ مِثْلَهُ !

وَمَكَثَ ٱلْأُمَرَاءُ فِي ضِيَافَةِ ٱلْمَلِكِ ، وَأُخْتِهِمُ ٱلْمَلِكَةِ ، أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا ، ثُمَّ سَافَرُوا إِلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهِمْ ... وَلَمَّا رَآهُمُ ٱلشَّعْبُ يَدْخُلُونَ ٱلْعَاصِمَةَ ، أَخَذَ يَتَجَمَّعُ حَوْلَهُمْ ، وَيَهْتِفُ بِحَيَاتِهِمْ ، وَيُظْهِرُ سُرُورَهُ بِعَوْدَتِهِمْ ... وَخَرَجَ ٱلنَّاسُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَحَوَانِيتِهِمْ ، يَسْتَقْبِلُونَهُمْ بِٱلْهُتَافِ وَٱلتَّصْفِيقِ ، وَٱلطُّبُولِ وَٱلْمَزَامِيرِ ؛ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى ٱلْأَعْنَاقِ ،

وَذَهَبُوا بِهِمْ إِلَى ٱلْقَصْرِ ٱلْمَلَكِيِّ.

وَدَخَلُوا عَلَى أَبِيهِمْ، فَرَأَوْهُ فِي فِرَاشِهِ، شَيْخًا كَبِيرًا مَرِيضًا، لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْحَرَكَةَ، فَأَحَاطُوا بِهِ، وَٱلْتَفُّوا حَوْلَ سَرِيرِهِ، وَقَصُّوا عَلَيْهِ مَا جَرَى لَهُمْ، وَحَكَوْا لَهُ قِصَّةَ أُخْتِهِمْ، وَكَيْفَ صَارَتْ مَلِكَةً عَظِيمَةً، وَكَيْفَ خَلَّصَتْهُمْ مِنْ سِحْرِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ، فَأَثَّرَ ٱلْفَرَحُ فِي نَفْسِهِ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ وَنَشَاطُهُ، فَنَهَضَ مِنْ فِرَاشِهِ، وَأَخَذَ يَحْتَضِنُ أَوْلَادَهُ وَيُقَبِّلُهُمْ، وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ عَلَى خَدَّيْهِ فَرَحًا وَسُرُورًا.

أَمَّا ٱلْمَلِكَةُ ٱلشِّرِّيرَةُ، فَقَدْ جُنَّتْ حِينَمَا رَأَتِ ٱلْأُمَرَاءَ، فَنُقِلَتْ إِلَى ٱلْمُسْتَشْفَى، وَقَضَتْ بَقِيَّةَ أَيَّامِهَا فِيهِ، لَا يَنْجَعُ فِيهَا ٱلْعِلَاجُ، حَتَّى تَوَفَّاهَا ٱللهُ.

وَبَعْدَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ مَاتَ ٱلْأَبُ، فَتَوَلَّى ٱلْمُلْكَ ٱبْنُهُ ٱلْأَكْبَرُ، وَعَاوَنَهُ إِخْوَتُهُ، وَٱتَّصَلَتْ مَمْلَكَتُهُمْ بِمَمْلَكَةِ أُخْتِهِمْ، وَعَاشُوا بَقِيَّةَ حَيَاتِهِمْ سُعَدَاءَ...

أسئلة فى القصّة

(١) لماذا تزوّج الملكُ مرّةً ثانيةً؟ وكيف عاملت الملكة الجديدة أولادَ زوجها؟

(٢) صِف حياة الأميرة فى الرّيف، واذكر لماذا أشارت الملكة بإرسالها إلى هناك.

(٣) كيف صار الأمراء بجعاتٍ متوحّشاتٍ؟ وأين ذهبوا؟

(٤) ماذا صنعت الملكة بالأميرة بعد عودتها من الرّيف؟ ولِمَ طردها أبوها؟ وأين ذهبت؟

(٥) أين قابلت الأميرةُ السيِّدةَ العجوزَ؟ وبماذا نصحت العجوزُ الأميرةَ؟

(٦) فى أىِّ مكانٍ التقت الأميرة بإخوتها؟ وكيف كانت هيئتهم؟

(٧) كيف حمل الأمراء أختهم إلى مسكنهم البعيد؟

(٨) ماذا رأت الأميرة فى حلمها؟ ولماذا امتنعت عن الكلام؟

(٩) أين رأى الملكُ الشّابُّ الأميرةَ؟ وكيف نقلها إلى قصره الملكىّ؟

(١٠) مَنِ الذى تزوّج الأميرة؟ وكيف كانت تخاطب زوجها ووصيفاتها وخدمها؟

(١١) لماذا ذهبت الملكة إلى المقابر؟ وماذا رأت هناك؟

(١٢) لماذا حكم الشعب على ملكته بالموت حرقًا؟

(١٣) كيف أُبْطِلَ سحر الأمراء؟ ومتى حدث ذلك؟

(١٤) لماذا صار لأصغر الأمراء ذِراع إنسان وجناح بجعة؟

(١٥) اذكر العجائب التى حدثت عند الشّروع فى إحراق الملكة.

(١٦) ماذا فعل الأمراء بعد أن أُبطِل سحرهم؟

(١٧) كيف كانت نهاية الملكة الشرّيرة؟

(١٨) ماذا تستفيد من هذه القصة؟ وهل أعجبتك؟